بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعة ١٤٢٤/١١/٢٤هـ

الجزء الخامس – الخطبة رقم ٢٣

فوائد من حديث:""لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين""

إن الحمد لله نحمده ونستعينه... أمابعد

فمعاشر المسلمين؛ معاشر شباب الإسلام: لما كان نشر الخير بين الناس من أعظم القربات، وكان ذلك الأمر مشاعا بين الناس حسب علمهم وحرصهم سلك كثير من الناس هذا المسلك، إلا أن تلك الدعوات والدعاة تنوعت في مشاربها وتنوعت في مقاصدها، فظهر من جراء ذلك شقاق بين تلك الفرق وتناحر، وظهر من جراء ذلك أيضا أمور بدعية حادثة، وأمور شرعية معطلة، وما مدارس التأويل والتعطيل عنا ببعيد، إلا أنه مع ذلك اللبس والخلل، ومع تلك البدع والدخن كان مشعل الحق متقدا لا ينطفئ أبدا بوعد الله، والله لا يخلف وعده.

معاشر المسلمين؛ ولما كان طريق الحق واحدا، وكان أهله هم الناجون من فتن الشبهات والشهوات جاءت البشائر النبوية لتضع المنارات على الطريق فيفوز سالكه، ويخيب تاركه، ولا يظلم ربك أحدا.

معاشر المسلمين؛ ومن أعظم علامات بشائر أهل الحق ما جاء في غير حديث يجمع صفاتهم ويزكي مسلكهم، ولعل أوضح حديث في هذا الباب ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى. قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه:(حدثنا الحميدي قال حدثنا الوليد قال حدثني ابن جابر قال حدثني عمير بن هانئ أنه سمع معاوية رضي الله تعالى عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:""لايزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهو على ذلك"" وأخرجه مسلم كذلك، وأخرج مسلم أيضا عن ثوبان رضي الله تعالى عنه بلفظ:""لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك"" وفي لفظ مقارب:""لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك""، وعن

جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:""لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"" أخرجه مسلم، وعن قرة بن إياس:""لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم خذلان من خذلهم حتى تقوم الساعة"" أخرجه ابن ماجه وابن حبان، وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:""لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة"" أخرجه الحاكم، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:""لاتزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها"" أخرجه ابن ماجه، وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:""لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال""أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم.

معاشر المسلمين؛ ومن فوائد هذا الحديث: أن دعوة الحق مستمرة باقية ما بقي الليل والنهار كما قال صلى الله عليه وسلم:""لا تزال واللام هنا نافية، فنفي الزوال يدل على دوام البقاء، ويزيد هذا تأكيدا وتقريرا أن آخر الحديث يؤكد أوله؛ ففي أول الحديث جاء قوله صلى الله عليه وسلم:""لاتزال"" ونفي الزوال دليل على الاستدامة، يؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم:""حتى يأتي أمر الله"" وفي لفظ عند مسلم:""إلى يوم القيامة"" وفي لفظ آخر عنده أيضا:""حتى تأتيهم الساعة"".

معاشر المسلمين؛ وإذا كانت سنة الله تعالى قد مضت في بقاء دعوة الحق إلى قيام الساعة فهذا الأمر من أعظم البشائر النبوية لدعاة السنة، وعليه فمهما بلغ دعاة الباطل والضلال من أئمة الكفر والبدع مهما في بلغوا في تدليسهم وتلبيسهم وتخذيلهم ومخالفتهم؛ فلم ولن يستطيعوا إطفاء نور الحق وتغييب معالمه.

معاشر المسلمين؛ ومن فوائد هذا الحديث: أن دعاة الحق ليس لهم عدد معين ولا مكان معين ولا زمان معين بل هم يختلفون في أجناسهم تارة وأمكنتهم تارة، وفي أعدادهم تارة أخرى إلا أن الجامع لهم هو دعوة الحق. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:(يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون

بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولا فأولا إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله"" انتهى ملخصا مع زيادة لابن حجر عليه.

معاشر المسلمين؛ ومن فوائد هذا الحديث: ظهور دعوة الحق؛ ففي قوله صلى الله عليه وسلم:""ظاهرين"" دليل بين على أن دعوة الحق ظاهرة وليست بخافية، وليست مقصورة على مدعوين معينين بل هي دعوة مشاعة لكل أحد فمن أراد الخير لزمها وغنم، ومن خالفها ندم، وفي قوله صلى الله عليه وسلم:""ظاهرين"" بيان على ذم تلك الدعوات التي تعتمد على السرية والخفاء، وتتعمد عدم إظهار مبادئها بزعم الوصول إلى غايات محددة دون النظر إلى مشروعية الوسائل، ودون النظر إلى صحة المقاصد، ودون النظر إلى إشاعة الخير من عدمه إلا إذا كانت إشاعة الخير مرهونة بتحقيق مطالبهم، فبئس الداعي وبئست الدعوة، فالحذر الحذر دعاة الحق من الانخداع بتلك الشعارات التي ترفعها تلك الدعوات، بينما ينظروها يقبعون في السراديب يعتمدون السرية في مسلك دعوتهم، فهذا الأمر معاشر المسلمين مخالف لهدي سلف الأمة في جميع عصور الإسلام في مجتمعات المسلمين، والتاريخ يشهد بظهور دعوتهم بين الناس من أول طلبهم للعلم حتى تفارق أرواحهم أبدانهم، وأما تلك الدعوات القائمة على الحزبية والسرية فلا الإسلام نصروا ولا لأعدائه كسروا، بل قووا شوكة أهل الباطل وكانوا غصة في حلوق أهل السنة، وظهر عوارهم في غير زمان ومكان.

الخطبة الثانية

معاشر المسلمين؛ ومن فوائد هذا الحديث: أن للثابتين على الحق مخذلين كما في قوله صلى الله عليه وسلم:""لا يضرهم من خذلهم"" والمخذولون هم المثبطون الداعون إلى الإرجاف ووضع العقبات الحسية والمعنوية، فإذا ما أراد صاحب الحق القيام بأمر خير، والسعي في تحصيله بحسب الوسائل الشرعية توالت عليه عبارات التخذيل والتثبيط؛ فتارة دع ما أنت عليه فقد تبدلت الأمور وتغيرت الأحوال، وتارة أنت وحيد في هذا الطريق وقد قل النصير والرفيق، وتارة أي أثر أو ثمرة ترجوها من سعيك هذا، وتارة عليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر الناس، وتارة يخشى عليك من هذا المسلك

أن يكون سببا لقطع رزقك أو مدعاة للسخرية منك، والتندر بك إلى غير ذلك من أساليب التخذيل والتهويل التي تعين على إضعاف الهمم وقتل العزائم.

معاشر المسلمين؛ ألم يعلم أولئك المخذلون أنهم بتخذيلهم ذاك جعلوا من أنفسهم مغاليق للخير مفاتيح للشر، وأنهم للخير كسروا وللشر نصروا شعروا بذلك أو لم يشعروا، وأما أنت يا صاحب الحق فالزم طريق السنة، واحتسب أجرك على الله تعالى، وإياك أن توهنك أقوال المخذلين أو أفعالهم، واعلم أن مجرد السعي في تحصيل الخير يثبت به الأجر سواء تم حصول المراد أو لم يتم. شاهد القول: أن ترتب الأجر يكون بالسعي في الخير، ومما يوضح ذلك بل يؤكده قوله تعالى:""ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها"" وقوله صلى الله عليه وسلم:""اشفعوا تؤجروا"".

معاشر المسلمين؛ ومن فوائد هذا الحديث وهو متعلق بما قبله: وجود المخالفين لدعوة الحق؛ ففي قوله صلى الله عليه وسلم:""ولا من خالفهم"" بيان واضح لحصول المخالفة، وهذا سنة الله تعالى في وجود الصراع بين الحق والباطل. معاشر دعاة الحق: وهؤلاء المخالفون على طرائق قددا تتنوع أساليبهم وتختلف مشاربهم، فيا داعي الحق والسنة قد تبتلى بمن يخالف دعوتك مطاوعة لشبهة في قلبه، وقد تبتلى بمن يخالف دعوتك طمعا لشهوة في نفسه، وقد تبتلى بمن يخالف دعوتك حسدا أو كبرا إلى غير ذلك من سيء المقاصد والمشارب؛ فاحذر رعاك الله تعالى من الوهن والخور؛ فأهل الشر باختلاف مقاصدهم يسعون جاهدين لصد دعوة الخير كما كان أسلافهم من قبل كما قص القرآن ذلك:""ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين"".

معاشر المسلمين؛ ومن فوائد هذا الحديث: ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم:""قائمة بأمر الله"" ففي ذلك بيان واضح أن دعاة الحق تجمعهم الأوصاف وليس الأشخاص بخلاف الدعوات الأخرى التي تعظم الأشخاص دون الأوصاف؛ فتلك تعظم أشخاصها وتبرر أفعالهم مهما كانت الأخطاء حتى ولو كانت مصادمة للنصوص الشرعية بتحريف أو تنازل لأن تلك الدعوات قامت على تعظيم الأشخاص، بخلاف دعوة الحق فإن أصحابها يعظمون الأوصاف والأشخاص تبعا لأوصافهم؛ فمتى ما كان الرجل قائما بأمر الله معظما للنصوص الشرعية عظموا شأنه وأحبوه كائنا ما كان عربيا أو عجميا قريبا أو بعيدا فقيرا أو غنيا، فالجامع لذلك كله تعظيم

الشريعة، كما قال تعالى:""ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب"" وكما قال تعالى:""ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه"" وعودا على بدء فشعاب أهل الحق وأوديتهم تجتمع على تعظيم نصوص الشريعة أمرا أو نهيا أو أدبا أو خبرا.

معاشر المسلمين؛ ولقد أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والشراح في الكلام على هذا الحديث، واتفقت كلمتهم على أن المعنين بهذا الحديث هم العاملون بالكتاب والسنة على منهج سلف الأمة، وهم أهل الحديث رواية ودراية المقتفون للنصوص والسنن والآثار في معتقدهم وعبادتهم ومعاملاتهم وسلوكهم وسائر شأنهم.